التشغيب الفكري عند التنويريين

(بين الطعن في أهل السنة وتلميع بعض المتطرفة)

الشيخ

د. أحمد بن مبارك بن فزلان الزروعي

@baynoonanetUAE @baynoonanet

www.baynoona.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد.

فقد رفع الإسلام مكانة العلماء، وأمر الناس بسؤالهم، والارتباط بهم، وتوقيرهم وإجلالهم ومحبتهم دون التعصب لهم، ونبَّه في ذلك على أن المقصود بالعلماء: هم العلماء المعتدلون الناصحون، لا العلماء المتطرفون المنحرفون، فقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة:١١]، وقال تعالى: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣]، وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ، وَيُبْقِي فِي النَّاسِ رُؤُوسًا جُهَّالًا، يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ**»[١].

[خطر الوقيعة في أهل العلم والسنة]

وهذا التوقير والتبجيل يتضمن عدم الوقوع في ضده؛ ولهذا قد حذَّر العلماء من الطعن في علماء المسلمين، وبيَّنوا أنها العلامة الفارقة التي يتميَّز بها أهل الفتن والتطرف، فقالوا: «**وعلامة أهل الْبدع الوقيعة فِي أهل الْأَثر**»[٢]، ويقول ابن عساكر -رحمه الله-: «**أن لحوم العلماء -رحمة الله عليهم- مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم**»[٣].

[أساليب أهل التشغيب التنويري]

وقد حاول بعض المشاغبين ركوب هذا السهل الوعر، واستخدموا للوصول إليه أساليب المكر: فبدؤوا بإظهار المسائل الخلافية حتى يرقَّ الدين في قلوب المسلمين، ثم طلوها بطلاء التناقضات، ثم ردُّوا بعض الأحاديث لمخالفتها العقل، وضعَّفوا بعضعها كحديث الافتراق، ثم تسلَّقوا جدار الطعن في القرون الأولى بأنها أفكار جامدة وموروث قديم، ثم بعد التعميم قاموا بالتعيين فتسلطت ألسنتهم على الإمام الشافعي، ثم قويت ألسنتهم ليتطاولوا على الإمام البخاري وكتابه الصحيح، رميًا له بالتشكيك

---

[١] رواه مسلم (٢٦٧٣)

[٢] العلو للعلي الغفار للذهبي (١/ ١٩٠).

[٣] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (٢٩).

والتناقض والتخلف، فخرج على إثر هذه التشغيبات غلمان المشغِّبين من جحورهم وتجرؤوا على السنة صراحة.

[تطرُّف الحلاج وموقف العلماء منه]

وتزامنًا مع الطعن في البخاري الذي اتفق القاصي والداني على مكانته ومكانة كتابه، قام أصحاب الشَّغب الفكري بتلميع رموز قد اتفق العلماء على انحراف فكره؛ كالحلاج الذي تعلم السِّحر، وادَّعى تناسخ الأرواح، والنبوة، بل وادعى الربوبية وقال بحلول الله فيه، و«**عظم افتراؤه على الله ورسوله**»[٤]؛ فأطبق العلماء على ذمِّه: ومنهم الطبري في تاريخه، وابن الجوزي في المنتظم، وابن خلدون في تاريخه، وابن العربي المالكي[٥]، والأسفراييني[٦]، والشاطبي[٧] والبقاعي[٨] وغيرهم كثير، وأفتى الفقهاء وكبار المتصوفة ولاة الأمر بقتله[٩].

يقول القاضي عياض -رحمه الله-: «**وَأَجْمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ أَيَّامَ الْمُقْتَدِرِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَقَاضِي قُضَاتِهَا أَبُو عُمَرَ الْمَالِكِيُّ عَلَى قَتْلِ الْحَلَّاجِ وَصَلْبِهِ لِدَعْوَاهُ الْإِلَهِيَّةَ، وَالْقَوْلِ بِالْحُلُولِ وَقَوْلِهِ: (أَنَا الْحَقُّ)**»[١٠].

وهذه الطريقة في التنفير من العلماء المعتدلين والربط بمثل هؤلاء الذين أُثر عنهم مثل هذا الانحراف؛ لسبب خطير في إمرار التطرف، وتشويه صورة الإسلام، وفتح باب الإلحاد، وتكالب أهل الحقد والعداء على البلاد.

[الحلاج وحسن البنا توافق في الأسلوب والهدف]

ومما يؤكد ذلك في فكر الحلاج ما قاله أَبُو بكر الصولي -رحمه الله-: «**قد رأيت الحلاج وجالسته، فرأيت جاهلًا يتعاقل، وغبيًّا يتبالغ، وفاجرًا يتزهد، وَكَانَ ظاهره أنه ناسك صوفي، فإذا علم أن أهل بلدة يرون الاعتزال صار معتزليًّا، أو يرون الإمام صار إماميًّا، وأراهم أن عنده علمًا من إمامتهم، أو**

---

[٤] تاريخ الطبري مع صلة تاريخ الطبري (١١/ ٨٤).

[٥] المسالك في شرح موطأ مالك (٣/ ٤٠٣).

[٦] التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (١٣٢).

[٧] الاعتصام (١/ ٢٢٦).

[٨] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٣٣).

[٩] ينظر: الفروق للقرافي (٤/ ٢٩٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٥٣)، وترتيب المدارك للقاضي عياض (٥/ ٢٥٨)، وتاريخ ابن خلدون (١/ ٦٢٤).

[١٠] الشفا (٢/ ٦٣٢).

رأى أهل السنة صار سنيًّا ... وَكَانَ مع جهله خبيثًا، وَكَانَ يتنقل في البلدان»[١١]، ولفت ابن النديم النظر إلى أن من مقاصد الحلاج انقلاب الدول فقال واصفًا له: «**مرتكبًا للعظائم، يروم انقلاب الدول، ويقول بالحلول**»[١٢].

فتأمل هذا التلون الفكري في شخصية الحلاج وقارنه بمنهج مؤسس الإخوان حسن البنا الذي أسس جماعته على أن تتلوَّن مع كل المناهج والأفكار، فلبسوا التصوف للعامة، وأبطنوا الفكر الخارجي الثوري، وتظاهروا بالتمسك بالسنة، وتعاونوا مع الأفكار المنحرفة حتى مع الروافض الصفوية[١٣]، وكما قال الإخواني عبد الله علوان: «**أن تعمل كل جماعة في مجال تخصصها في تربية الجيل المسلم وتكوينه على أن يعملوا فيما اتفقوا عليه ويعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه... فهذه تدعو إلى تزكية النفوس، وأخرى تقوم بمهمة التثقيف والتعليم، وثالثة تخوض غمار العمل السياسي حتى يتمم بعضه بعضًا في تكوين الشخصية الإسلامية**»[١٤].

وحدِّق النَّظر -غير مأمور- في قول ابن النديم: **[يروم انقلاب الدول] تجد أن المقصد بين الإخوان المسلمين وفكر الحلاج ومن على شاكلته واحد.**

فهل يا ترى يريد دعاة التنوير تغذية الفكر الإخواني بفكر الحلاج اليوم كما حاولوا ذلك بالأمس مع أطروحات محمد شحرور؟!

أم يريدون الإسهام في نشر الإلحاد من خلال فكر الحلاج الذي يدِّعي الحلول والاتحاد؟!

ومهما يكن الأمر، فكل ما يهدد عقائدنا وقيمنا وأمننا فلن نقف أمامه مكتوفي الأيدي، بل سنقف أمامه بالحجة والعلم والبرهان مع الحكمة وحسن البيان، ومهما حاول من حاول من هؤلاء المشغِّبين من ترتيب وتنظيم وتعاون لتشويه السنة وأهلها فإنها لا تعدوا إلا أن تكون رمادًا سيذهب أدراج الرياح كما ذهب مَن قبلهم عبر الزمان، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد:١٧].

وقد أبى الله إلا نصر ما خذلوا * وكسر ما نصروا منهم على رغم**

---

[١١] المنتظم لابن الجوزي (١٣/ ٢٠٢).

[١٢] الفهرست (١/ ٢٣٦).

[١٣] ينظر: مجموعة رسائل البنا (١٢٢)، والطريق إلى الجماعة الأم (٣٣٧).

[١٤] كتاب العقبات (١/ ٣١٢).